

### أخذتم مجاناً فمجاناً أعطوا

هذه الدعوة القويّة يوجّهها المعلّم إلى تلاميذه. لقد إنقّى هو شخصياً بإنسانيّة تائهة ومتألّمة، وأشفق عليها. ولهذا السبب يريد عن طريق تلاميذه أن يُضاعف عمله الخلاصي، الشافي، والمحرّر. اجتمع التلاميذ حول المعلّم، وأصغوا إلى كلامه، وتسلّموا رسالة شكّلت هدف لحياتهم. لذا انطلقوا في مسيرتهم كي يشهدوا لمحبة الله تجاه كل إنسان

### أخذتم مجاناً فمجاناً أعطوا

ولكن ما الذي أخذه مجاناً كي يُعطوه بدورهم؟ لقد اختبروا، من خلال أقوال المعلّم وأفعاله واختياراته، ومن خلال كل حياته، رحمة الله. وبالرغم من ضعفهم ومحدودياتهم، فقد حصلوا على الشريعة الجديدة للمحبة، شريعة القبول المتبادل وبالأخص حصلوا على العطيّة التي اراد الله ان يقدّمها لجميع البشر: تتمثل في شخصه، في صحبته لنا في دروب الحياة، بنوره في اختياراتهم. إنها عطايا لا ثمن لها، تفوق كل مقدرة لدينا على التعويض، فعلاً عطايا "مجانية". وهبت للتلاميذ ولجميع المؤمنين، حتى يصحبوا بدورهم قنوات لهذه الخيرات لكل من يلتقون بهم يوماً بعد يوم

### أخذتم مجاناً فمجاناً أعطوا

ما كتبته كيارا لوبيك في أكتوبر 2006 هذا

يدعونا الله من خلال كل الكتاب إلى العطاء: أن نعطي الفقراء، أن نعطي من يسألنا، من يريد الاقتراض؛ أن نعطي "بادر بالعطاء: أعطى المرضى صحة، والخطاة نفسه الجائع طعاماً، ونعطي قميصاً لمن يسألنا رداءً؛ أن نعطي مجاناً... فيسوع غفراناً، ومنحنا جميعاً الحياة. جعل الكرم والسخاء مقابل النزعة الأنانيّة للامتلاك؛ والاهتمام بالآخر مقابل التركيز على [...] الاحتياجات الخاصة؛ وثقافة العطاء مقابل ثقافة الامتلاك

سوف تساعدنا كلمة حياة هذا الشهر على إعادة اكتشاف قيمة كل عمل نقوم به: من الأعمال المنزليّة، والعمل في الحقل، في المعمل، في المهام المكتبية، في الواجبات المدرسيّة، وأيضاً الالتزامات في المجال المدني، السياسي والديني. كل شيء قد يتحوّل إلى خدمة يقظة وعناية. سوف يعطينا الحبّ عيوناً جديدة كي نفهم احتياجات الآخرين ونلبّيها بإبداع وسخاء. وما ثمرة كل ذلك؟ سوف تُعَمّ العطايا، لأن المحبة تدعو المحبة؛ سيتضاعف الفرح لأن السعادة في العطاء أعظم منها في الأخذ

خبرنا به "فرجانس"، فتاة صغيرة من الكونغو: "فيما كنت ذاهبة إلى المدرسة، شعرت بجوع شديد. في هذا بالضبط ما ت الخبز. بعد قليل رأيت رجلاً فقيراً جداً. فوراً فكرت أن أعطيه هذا من الطريق إنقيت بعصي الذي أعطاني مالا لأشتري به قطعة المال. قالت لي صديقتي التي كانت معي بالآ فعل بهذا الأمر، وأن أفكر في نفسي! ولكنني قلت في نفسي: سوف أجد ما أكله". غداً، ولكن هو؟ هكذا أعطيته المال وشعرت بفرح كبير في قلبي

### أخذتم مجاناً فمجاناً أعطوا

إنّ منطق الكتاب هو دائماً الأخذ من أجل المشاركة، وليس أبداً التكديس من أجل ذواتنا. إنها دعوة لنا جميعاً كي نعرّف بما تلقيناها: طاقات، مواهب، قدرات، وخيرات ماديّة، ووضعها في خدمة الآخرين

المجانيّة هي [...] بعد يمكن ان يُصاحب أي عمل. لهذا "Luigino Bruni وفقاً للعالم الاقتصادي لويديجينو بروني السبب فهي ليست المجاناً، بل انها العكس تماماً، لأن المجانيّة ليست ثمناً يساوي صفر، بل ثمناً غير محدود، لا يسعنا الإجابة عنه إلا بعمل مجانيّ آخر". إذاً تتجاوز المجانيّة منطق السوق والنزعة الاستهلاكيّة والفردية، وتفتح على المشاركة، الروح الاجتماعيّة، الأخوة وعلى ثقافة العطاء الجديدة. تؤكد التجربة أن المحبة الغير أنانية تُشكّل استقراً حقيقياً، لها نتائج إيجابية، غير متوقّعة، تمتد كبقعة الزيت في المجتمع. هذا ما حدث في الفلبين، في مبادرة بدأت سنة 1983

في ذلك الوقت، كان الوضع السياسي والاجتماعي في البلاد صعباً جداً، وكان عدد كبير من الأشخاص ملتمسين في تقديم الحلول الإيجابية. فقررت مجموعة من الشباب تقديم مساهمتها الخاصة بشكلٍ مميز: فتحو خزاناتهم وأخرجوا منها ما ليسوا بحاجة إليه. لقد باعوا كل شيء في سوق السلع المستعملة، وحصلوا على رأس مال صغير، وبدأوا من لا شيء مركزاً اجتماعياً سُمي بوكاس بالاد، أي "بأيادٍ مفتوحة" باللغة المحليّة. وشكّلت هذه الآية المُلهمة: "أخذتم مجاناً فمجاناً أعطوا" شعارهم منذ ذلك الحين. كما انضم إليهم بعض الأطباء وقدموا مساهمتهم المهنيّة بشكلٍ مجرد، وفتح كثيرون آخرون قلوبهم وذراعاتهم وأبواب بيوتهم. وهكذا وُلد ونما عمل اجتماعي واسع من أجل أفقر الفقراء، لا يزال حتى اليوم يُقدّم الخدمات في مدن مختلفة من الفلبين. ولكن الهدف الأهم الذي تم تحقيقه في هذه السنوات، هو جعل المستفيدين هم أنفسهم فاعلين في هذا المشروع. بالفعل إنهم يستعيدون كرامتهم كأشخاص وبينون علاقات تقدير وتضامن. من خلال إلترامهم ومثالهم، يصطحبون الكثيرين غيرهم للخروج من الفقر وتحمل

مسؤولية حياة جديدة لهم، لعائلاتهم، لأحيائهم، لجماعاتهم، وللعالم  
لجنة إعداد كلمة الحياة

## فحيث يكون كنزكم يكون قلبكم

القلب "هو العنصر الأكثر حميمية وخفية وحيوية عندنا؛ و"الكنز" له قيمة كبرى ويُعطينا ضمانة لليوم وللمستقبل". القلب هو أيضًا مقر قيمنا وجذُر خياراتنا الحسبية؛ إنه المكان الخفي الذي نُحدِّد فيه معنى لحياتنا. فما الذي نخصِّص له المرتبة الأولى فعليًا؟ ما هو "كنزنا" الذي نحن مستعدون أن نُهمَل كلَّ ما تبقى من أجله؟ في المجتمع الاستهلاكي ذي الطابع الغربي، كلُّ شيء يدفعنا إلى تكديس الخيرات المادية، والتَّركيز على حاجاتنا، وعدم الاهتمام بحاجات الآخرين، وذلك تحت شعار الرفاهية والفعالية الفردية. إلا أنَّ هذه الآية وردت في سياق ثقافي مختلف، كتعليم حاسم وشامل لكلِّ الرِّجال والنساء من كلِّ زمن ومن كلِّ مكان.

## فحيث يكون كنزكم يكون قلبكم

يُشدِّد الكتاب بقوة على ضرورة اتِّخاذ خيارٍ جذريٍّ نهائيٍّ يميِّز المؤمن: الله هو الخير الحقيقي، الذي يجب أن يحتلَّ قلب المؤمن بكيِّيته. يحمل هذا الخيار الحصريَّ معه الاستسلام الواثق لمحبيته وبإمكانية أن نصبح "أغنياء" فعليًا، لأننا أبناء الله وورثته ملكوته. إنَّ المسألة مسألة حرية: لا نجعل الخيرات المادية تمتلكنا بل نكون نحن أسيادها حقًّا. في الواقع، قد يحتلُّ الغنى المادي "القلب"، ويولِّد رغبة متزايدة بالامتلاك، وشكلاً من أشكال التبعية. أمَّا الصِّدقة التي يُحنُّنا عليها هذا المقطع، فتتعلَّق بالعدل الذي تُملِّيه الرِّحمة، والذي يُخفِّف من ثقلِ قلبنا ويفتِّحه على المساواة الأخوية.

يستطيع كلُّ مؤمن وكلِّ جماعة المؤمنين أن يختبروا الحرية الحقيقية من خلال المشاركة بالخيرات المادية والروحية، مع الأشخاص المحتاجين: هذا هو أسلوب الحياة الذي يشهد للنِّقَّة الحقيقية بالله، والذي يضع أسسًا متينة لحضارة المحبة.

## فحيث يكون كنزكم يكون قلبكم

بههدف التحرر من عبودية الامتلاك، يُعدُّ اقتراح كيارا التالي منيرًا: لماذا يُشدِّد الله كثيرًا على التجرد عن الخيرات، حتَّى أته يجعلها شرطًا أساسيًا للتمكّن من اتِّباعه؟ لأنَّه هو غنى حياتنا الأول وكنزنا الحقيقي [...]. هو يريدنا أحرارًا، ويريد أن تكونَ نفسنا حرَّة من كلِّ تعلُّقٍ ومن كلِّ همٍّ، حتَّى نتمكّن من محبته حقًّا من كلِّ قلبنا، وعقلنا، وقوتنا [...]. يطلبُ إلينا أن نتخلَّى عن ممتلكاتنا. أيضًا لأنَّه يريدنا أن نفتح على الآخرين [...]. وأبسط طريقة لنعيش "التَّخلي" هي أن نُعطي

نعطي الله إذ نحبه [...]. وكى نبرهن عن محبتنا هذه، دعونا نُحبُّ إخوتنا وأخواتنا، ونحن على استعداد لكلِّ شيء من أجلهم. وحتَّى إذا لم نع ذلك، فلدينا الكثير من الغنى يمكننا أن نشارك به: عندنا عاطفة في قلبنا نُعطيها، ومودة نُظهرها، وفرح ننقله؛ لدينا وقت نضعه في النَّصرَف، وصلوات، وغنى داخليّ نضعه في المشاركة؛ عندنا أحيانًا أشياء، كتب، ثياب، سيَّارات، نقود فلنُعطي من دون أن نُحلل كثيرًا: لكن هذا سينفعني في تلك المناسبة أو في تلك الأخرى. [...]. كلُّ شيء قد ينفِغنا، [...]. ولكننا إذا استمعنا لهذه الاقتراحات، يتسلَّل الكثير من التعلُّقات في قلبنا، وتولد لدينا دائماً متطلِّبات جديدة. لا، لنسَع للحصول على ما نحن بحاجة إليه فحسب. ولنننَّبَ لعدم خسارة الله مُقابل مبلغ نريد أن نضعه جانباً أو شيء يمكننا الاستغناء عنه.

ماريزا وأغسطينو، متزوَّجان منذ أربع وثلاثين سنة، يخبراننا ما يلي: بعد ثماني سنوات من زواجنا، كان كلُّ شيء يسير على ما يُرام، فالبيت والعمل كانا كما أردناهما. ثمَّ اقترح علينا بأن ننتقل من إيطاليا إلى بلدٍ في أميركا اللاتينية، كي نُساند الجماعة الناشئة هناك. ومن بين ألف صوتٍ من أصوات الخوف، والمستقبل المجهول، والأشخاص الذين نعتونا بالجنون، برزَّ صوتٌ كان يُعطينا سلامًا كبيرًا: صوتُ الله يقترح علينا: تعال واتبعني. "هذا ما قمنا به. وهكذا وجدنا أنفسنا في بيئة مختلفة تمامًا عن البيئة التي اعتدنا عليها. كان ينقضنا الكثير من الأمور، ولكننا كنَّا نجدُ بالمقابل أمورًا أخرى، كغنى العلاقة مع أشخاص كُثُر. كذلك اخترنا العناية الإلهية بشكل قويٍّ جدًّا: ذات مساء نظمنا حفلة صغيرة، وكان على كلِّ عائلة أن تُحضِر للعشاء طعامًا تقليديًّا من منطقتها. نحن كنَّا عدنا للتو من سفرة في إيطاليا وكان معنا قالبًا من جبن البارميدجانو. وفيما نحن محتارون بين مشاركة العائلات بقطعة من الجبن والفكرة بأنَّه لن يتبقَّى منها شيءٌ بعد فترة قصيرة، تدكَّرنا الآية: أعطوا تُعطوا. نظرنا واحدنا إلى الآخر وقلنا: لقد تركنا وطننا، وعملنا، وأقرباءنا، والآن نحن نتعلَّق بقطعة جبن. فقطعنا قطعة كبيرة من القالب وحملناه معنا. بعد يومين، دقَّ جرس البيت، فإذا بسائحٍ لم نكن نعرفه، صديق أصدقائنا، يحمل هدية من قِبلهم. فتحناها فوجدنا فيها قالبًا من جبن البارميدجانو. إنَّ وعدَ الله:....سُتُعطون في أحضانكم كيلاً حسنًا مَرَكومًا مُهزَّهراً طافِحًا هو بالفعل حقيقة

